ومعنى (إذا قضى ا ورسوله) إذا عزم أمره ولم يجعل للمأمور خيارا في الامتثال فهذا الأمر هو الذي يجب على المؤمنين امتثاله احترازا من نحو قوله للذين وجدهم يأبرون نخلهم : " لو تركتموها لصلحت ثم قالوا : تركناها فلم تصلح فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم " . ومن نحو ما تقدم في أول السورة من همه بمصالحة الأحزاب على نصف ثمر المدينة ثم رجوعه عن ذلك لما استشار السعدين ومن نحو أمره يوم بدر بالنزول بأدنى ماء من بدر فقال له الحباب بن النذر : أهذا منزل أنزلكه ا ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء فنشرب ولا يشربوا . فقال رسول ا A لقد أشرت بالرأي فنهض بالناس . وفي الحديث " أن النبي A كان في سفر وكان صائما فلما غربت الشمس قال لبلال : انزل فاجدح لنا فقال يا رسول ا لو أمسيت . ثم قال : انزل فاجدح لنا فقال : يا رسول ا لو أمسيت إن عليك نهارا ثم قال : انزل فأجدح فنزل فجدح له في الثالثة فشرب " . فمراجعة بلال رسول ا A من أجل أنه علم أن الأمر غير عزم .

وذكر اسم الجلالة هنا للإيماء إلى أن طاعة الرسول E طاعة قال تعالى (ومن يطع الرسول فقد أطاع ا) . فالمقصود إذا قضى رسول ا أمرا كما تقدم في قوله تعالى (فإن خمسه وللرسول) في سورة الأنفال إذ المقصود : فإن للرسول خمسه .

والخيرة : اسم مصدر تخير كالطيرة اسم مصدر تطير . قيل ولم يسمع في هذا الوزن غيرهما وتقدم في قوله تعالى (ما كان لهم الخيرة) في سورة القصص .

و (من) تبعيضية . و (أمرهم) بمعنى شأنهم وهو جنس أي أمورهم . والمعنى : ما كان اختيار بعض شؤونهم ملكا يملكونه بل يتعين عليهم اتباع ما قضى ا ورسوله A فلا خيرة لهم .

فلذلك والمؤمنات المؤمنين جميع يعمان النفي حيز في وقعا لما (ومؤمنة مؤمن) و A E جاء ضميرها ضمير جمع لأن المعنى : ما كان لجمعهم ولا لكل واحد منهم الخيرة كما هو شأن العموم .

وقرأ الجمهور (أن تكون) بمثناة فوقية لأن فاعله مؤنث لفظا . وقرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف وهشام وابن عمر بتحتية لأن الفاعل المؤنث غير الحقيقي يجوز في فعله التذكير ولا سيما إذا وقع الفصل بين الفعل وفاعله .

وقوله (ومن يعص ا ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) تذييل تعميم للتحذير من مخالفة الرسول E المخالفة في للهوى عمد عن كان أم الخيرة فيه هو فيما سواء .

(وإذ تقول للذي أنعم ا عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق ا وتخفي في نفسك ما ا مبديه وتخشى الناس وا أحق أن تخشيه) و (إذ) اسم زمان مفعول لفعل محذوف تقديره : اذكر وله نظائر كثيرة . وهو من الذكر بضم الذال الذي هو بمعنى التذكر فلم يأمره ا بأن يذكر ذلك للناس إذ لا جدوى في ذلك لكنه ذكر رسول ا A ليرتب عليه قوله (وتخفي في نفسك ما ا مبديه) . والمقصود بهذا الاعتبار بتقدير ا الأسباب لمسبباتها لتحقيق مراده سبحانه ولذلك قال عقبه : (فلما قضى زيدا منها وطرا زوجناكها) إلى قوله (وكان أمر ا مفعولا) وقوله (وكان أمر ا قدرا مقدورا) .

وهذا مبدأ المقصود من الانتقال إلى حكم إبطال التبني ودحض ما بناه المنافقون على أساسه الباطل بناء على كفر المنافقين الذين غمزوا مغامز في قضية تزوج رسول ا A زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة فقالوا : تزوج حليلة ابنه وقد نهى عن تزوج حلائل الأبناء . ولذلك ختمت هذه القصة وتوابعها بالثناء على المؤمنين بقوله (هو الذي يصلي عليكم) الآية . وبالإعراض عن المشركين والمنافقين وعن أذاهم